الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الرابع، ديسمبر ٢٠٠٧م (ص٢٢٧-٢٤٢)

منهج المفتي محمد شفيع في تفسيره "معارف القرآن"

محمد علي حسين*

ملخص البحث:

تفسير معارف القرآن معروف ومشهور لدى الناس في القارة الهندية، وهو من أكثر التفاسير هنا قراءة، ومع ذلك أنه غير معروف علميا، لأنه لم تجر عليه دراسة علمية حسب معرفتنا. نظرا إلى ذلك- فقد قمنا بهذا البحث حول منهج المفسر في هذا التفسير، و ذكرنا فيه عشرة من مناهجه، واستدللنا على كل منها مع توثيقها، وقد رأينا أن المفسر في تفسيره جمع بين كتابين عظيمين، أحدهما "ترجمة شيخ الهند" وثانيهما "بيان القرآن" وذلك بنقلهما مباشرا فيه. وهو رتب المعلومات على ترتيب جميل ونسقها بالعناوين المناسبة، و قدّم السؤال من نفسه أحيانا ثم قام بالإجابة عنه، وبيّن العلاقات بين الآيات القرآنية سابقا ولاحقا أحيانا أخرى، واهتم بالجانب الفقهي في تفسيره كثيرا، كما أبرز الجانب الصوفي فيه، ومن تأثر الملابسات التي نشأ فيها الأستاذ أنه لم يوثق المعلومات توثيقا علميا، وهو معذور فيه طبعا، ومن طبيعته أنه يستشهد بالأبيات من الشعر كثيرا في شرح كلمات القرآن حينا وفي توضيح معاني الآيات حينا.

هذا هو المنهج الذي سلكه المفتي محمد شفيع – رحمه الله – في تفسيره، الذي هو مناسب للدارسين ومساعد لعامة القراء في فهم معاني القرآن الكريم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

---

* محاضر بقسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ.

فالمراد من "المنهج" هنا الطريقة المتبعة في الكتابة والتأليف، ولكل كاتب أو مؤلف منهج خاص، ينفرد به عن غيره، وقد ازدهر العلم في فن البحوث العلمية — في العصر الحديث-- ازدهارا كبيرا، حتى أصبح علما مستقلا على اسم "مناهج البحث" (Research Methodology). وقد غاب هذا المنهج العلمي عن معظم الكتب القديمة في نقل المعلومات وفي توثيقها، كما هو غائب عن بعض المؤلفات المعاصرة. وهذا البحث عبارة عن دراسة منهجية حول منهج "تفسير معارف القرآن"، الذي هو تفسير ضخم يقع في حوالي ٧٠٠٠ صفحة، مكتوب باللغة الأردية ومترجم إلى اللغة البنغالية. وقد استخرج الباحث هنا منهج المفسر واحدا بعد آخركما في التالي:

١- التنسيق بين المعلومات بأسلوب جميل:

إن المفتي محمد شفيع – رحمه الله – رتب المعلومات في تفسيره ونسق فيما بينها من السابق واللاحق تنسيقا جميلا، من حيث أنه وضع العناوين لجميع المعلومات، وهذه الظاهرة جعلت الكتاب سهلا للفهم أمام القراء. وهم يجدون في هذا الكتاب الترتيب التالي في تنسيق المعلومات على العناوين الآتية:

أولا: نقل مجموعة من الآيات القرآنية:

أول ما نرى في هذا الكتاب أن المفسر يقتبس مجموعة من الآيات للتفسير.

ثانيا: الترجمة الحرفية للآيات:

إن المفتي محمد شفيع — رحمه الله — يترجم الآيات المذكورة ترجمة حرفية ، وهذه الترجمة منقولة مباشرة من "ترجمة شيخ الهند" للشيخ محمود الحسن كما صرح به المفسر نفسه.[١]

ثالثا: خلاصة التفسير:

ونحن نرى في هذا التفسير بعد الترجمة الحرفية عنوانا على "خلاصة التفسير" ويتضح من اعتراف المفسر نفسه بأنه نقل هذه الخلاصة من "بيان القرآن" لحكيم الأمة أشرف علي التهانوي – رحمه الله– نقلا مباشرا.[٢] وهي عبارة عن الشرح الإجمالي أوالتفسير المختصر للآيات المقتبسة.

رابعا: المسائل والمعارف:

يلتقي القارىء في هذا التفسير بعد الفراغ من "خلاصة التفسير" بعنوان جديد وهو " المسائل والمعارف " ونرى أن المفسر هنا يشرح بعض الكلمات أحيانا، إذا دعت الحاجة إليه،ويوضح بعض الآيات أحيانا أخرى[٣] ونحن نقدم هنا لكل نوع مثالا:

أ) مثال شرح الكلمات عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾[٤] يقول المفتي:" كلمة "كفر" معناه ستر الشيئ، وكذلك عدم الشكر أيضا يسمى كفرا، لأن الكافر ينكر هنا إحسان المحسن".[٥]

ب) ومثال توضيح الآية عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾.[٦] فيقول:" لا تسوّوا مع الله غيره، لأنكم تعرفون أن خلقكم وولادتكم وتربيتكم وتنميتكم وإنزال المطر من السماء عليكم وإنبات النبات به وإخراج الثمرات والرزق لكم، لا يشاركه فيها أحد، بل هي كلها من أمر الله، فلذا لا يستحق أحد عبادتكم غير الله، والإشراك به في العبادات ظلم عظيم".[٧]

٢- بيان فضائل السور:

قد لاحظنا خلال دراستنا لمعارف القرآن أن المفسر العلام يبيّن فضائل السور قبل الدخول في تفسيرها، وهو في ذلك ينقل روايات مختلفة، ومثال ذلك في تفسيره كثير، منها:

المثال الأول:

يقول المفتي محمد شفيع – رحمه الله – في بداية تفسير سورة الفاتحة[٨] : روي في البخاري عن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: "الحمد لله رب العالمين أعظم سورة من القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم".[٩]

والمثال الثاني:

يقول في بداية تفسير سورة البقرة [10] : روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه– "أن آية الكرسي في سورة البقرة أفضل الآيات كلها".[١١]

٣- بيان العلاقة بين الآيات:

من يمعن النظر في دراسة تفسير معارف القرآن يجد أن المفسر – رحمه الله – يبيّن العلاقات بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة عند قيامه لتفسيرها، وهذا اللون من المنهج نراه ظاهرا في هذا التفسير، وهو بذلك يجعل القراء لا ينقطع أذهانهم عن الفكرة المتواصلة، ويشعرون كأنه يسوقهم آخذا بأيديهم قدما بعد قدم إلى سبيل النور الإلهي، ولا يتركهم في مفرق الطريق، ومثال هذه الظاهرة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾.[١٢] فقال: "كان الكلام يدور في الآية السابقة حول القبلة وأحوال أهل الكتاب حيث أنهم كانوا يعرفون النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه نبي حق، ولكنهم كانوا يكتمون الحق، وهذه الآية تكملة لما سبق حيث أن الله تعالى هدّد – في هذه الآية– الذين يكتمون الحق ويتجاوزون الحد."[١٣]

٤- اختيار أسلوب السؤال والجواب:

إن الدارس لهذا التفسير يجد أن المفتي محمد شفيع – رحمه الله – قد اختار أسلوب السؤال والجواب عنه في تفسيره، فهو كلما يحس بإمكانية السؤال في ذهن القارئ بعد قراءة آية أو بعد قراءة تفسيرها، يقوم بالإجابة عن ذلك السؤال المقدر.

ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.[١٤] كما يقول: إن القرآن الكريم ذكر في هذه الآية ثلاث صفات من صفات المتقين، وهي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله، ولكننا نعرف منهج القرآن الكريم أنه إذا ذكر الأعمال الصالحة بعد ذكر الإيمان تكون قائمته طويلة بذكر الفرائض والواجبات في معظم الوقت، فيمكن أن ينشأ سؤال في ذهن القاريء: "لماذا اكتفى القرآن الكريم هنا بذكر إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله فقط؟" فأقول جوابا عنه: إن جميع العبادات – فرضا كانت أم واجبا – تتعلق ببدن الإنسان أو تتعلق بأمواله. والصلاة من أهم العبادات المتعلقة ببدن الإنسان، كما أن جميع العبادات المالية مندرجة تحت الإنفاق في سبيل الله، فلذا اكتفى القرآن الكريم هنا بذكرهما.[١٥]

٥- الاهتمام بالمسائل الفقهية:

كان المفسر المفتي محمد شفيع –رحمه الله – مفتيا مشهورا في القارة الهندية، وله كتاب في الفقه على اسم "جواهر الفقه".[١٦] وقد لقب الأستاذ بـ"فقيه النفس"،[١٧] فلذا نرى اللون الفقهي بارزا في تفسيره، فهو يستنبط الأحكام الفقهية من الآيات مباشرة أحيانا، وينقل الآراء الفقهية من العلماء السابقين أحيانا أخرى، ونحن نذكر هنا بعض الأمثلة:

أولا: مثال استنباط الأحكام من الآية مباشرة كما يستخرج عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾.[١٨] قائلا: "لا يجوز قتل الإنسان في الحرم المكي، وحتى لا يجوز قتل الحيوان الوحشي فيه، إلا إذا بدأ العدو بالقتال فيه أولا، فيجوز الدفاع من قبل المسلمين".[١٩]

ومثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾.(٢٠) أنه يقول: "يجب الاستغفار على رجل لا يطيق الفدية عن الصوم ويكفي له ذلك ، بشرط أن يكون على إرادة قوية ونية خالصة بأنه يدفع الفدية عند الاستطاعة."[٢١]

ثانيا: مثال نقل الآراء الفقهية من العلماء السابقين عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾.[٢٢] أنه ينقل رأي الأئمة الأربعة بواسطة الإمام النووي في وقوع ثلاث تطليقات دفعة واحدة،[٢٣] : "قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلماء من السلف والخلف يقع الثلاث، وقال طاؤس وبعض أهل الظاهر لا يقع بذلك إلا واحد".[٢٤]

وعند تفسيره لقوله تعالى: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم".[٢٥]

أنه ينقل رأي الجمهور بواسطة القرطبي في مسألة ذبيحة أهل الكتاب: "قال جمهور الأمة أن ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو غيرهم وكذلك اليهود".[٢٦]

٦- منهجه في نقل الحديث:

لقد رأينا أن الأستاذ المفتي محمد شفيع – رحمه الله – نقل الحديث في تفسيره على منهجين كما في التالي:

أولا: رواية الحديث من كتب التفاسير:

لقد وجدنا خلال نظراتنا في تفسير معارف القرآن أن المفسر في غالب الأحيان يذكر الأحاديث من كتب التفاسير القديمة من الطبري والقرطبي وابن كثير. وذكر الأحاديث من كتب الأحاديث الأصلية عنده قليل ونادر جدا، ومثال ذلك في تفسيره لا يعد ولا يحصى.

مثلا أنه يروي نقلا عن القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيئ قدير﴾.[٢٧] قائلا: كان النسخ في جميع الشرائع السماوية السابقة، كما روى مسلم: "لم تكن نبوة قط إلا تناسخت".قرطبي.[٢٨]

ثانيا: رواية الحديث بالمعنى:

والمسلك الذي سلكه المفتي محمد شفيع –رحمه الله – في رواية الحديث أنه لا يرويه بالألفاظ الأصلية في معظم الوقت، وإنما يرويه بالمعنى، وهو في ذلك يذكر اسم المصدر أو اسم الراوي اختصارا، ثم يذكر معنى الحديث الكامل أو جزءا منه الذي يتعلق بالموضوع، ومثاله في معارف القرآن عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون.﴾[٢٩] أنه يقول[٣٠]: روي في صحيحي البخاري ومسلم: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى عمر – رضي الله عنه – يحلف بأبيه، فمنعه عن ذلك وقال: "احلف بالله أو اصمت." قرطبي.[٣١]

٧- منهجه في توثيق المعلومات:

ومن المناهج المتبعة من قبل المفسر المفتي محمد شفيع – رحمه الله – في توثيق المعلومات أنه لا يتبع نظام التهميش العلمي، بل يذكرها في وسط الصفحة مباشرا بين قوسين، فيذكر أحيانا اسم الكتاب فقط دون المعلومات الأخرى، ومثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...﴾[٣٢] كما يقول: إن الدم الجاري حرام ونجاسة، ولكن الدم الذي يكون

ملصقا باللحوم بعد الذبح ليس بحرام، فهو طاهر وحلال، واتفق عليه الصحابة والتابعون والفقهاء وعلماء الأمة. قرطبي"[٣٣]

ويذكر أحيانا اسم الكتاب مع الجزء والصفحة دون ذكر اسم الكاتب، ويختصر عند ذكر اسم الكتاب بذكر العنوان المعروف والمشهور، ولا يذكر الاسم الكامل، ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾.[٣٤] يقول المفسر نقلا عن القرطبي: "الطعام اسم ما يؤكل، والذبائح منه، وهو ههنا خاص بالذبائح عند كثير من أهل العلم بالتأويل، وأما ما حرم من طعامهم فليس بداخل في عموم الخطاب". قرطبي، ج٦، ص٧٧.[٣٥]

وكذلك يذكر أحيانا اسم الكتاب مع كاتبه ومعلوماته الأخرى بصورة وجيزة، ومثال هذه الظاهرة كما نراه يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾.[٣٦] وهو ينقل عن الإمام الغزالي: "وليس فيه تأويل ولا بتخصيص، ومن أوّله بتخصيص فكلامه من الهذيان لا يمنع الحكم بتكفيره، لأنه مكذب لهذا النص الذي أجمعت الأمة على أنه غير مأول ولا مخصوص". (كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، الإمام الغزالي)[٣٧]

٨- محاولة المفتي لإبراز اللون الصوفي خلال التفسير:

إن القرآن الكريم استخدم كلمة "الولي"[٣٨] أو "الأولياء"[٣٩] أو"مولى"[٤٠] أو"ولاية"[٤١] في آياته الكثيرة، وكذلك تناول خطابه أحيانا بقوله: "الذين آمنوا"[٤٢] وأحيانا بقوله: "فمن تبع هداى"[٤٣] وما إلى ذلك، والناظر في المنهج القرآني في استخدام هذه الكلمات يجد أنه استخدمها لمعنى عام، والمراد منها "المؤمنون" كما صرح به صاحب شرح الطحاوية قائلا: "المؤمنون كلهم أولياء الرحمن...فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله وأن الله وليهم ومولاهم".[٤٤]

والدارس لمعارف القرآن يلتقي بمنهج خاص هنا في تفسير معظم هذه الكلمات، وهو أن المفسر يحاول لإبراز اللون الصوفي خلال تفسيرها، ويستدل بمثل هذه الكلمات على "الولي" المعروف في القارة الهندية في طريقة التصوف، ونحن نقدم هنا بعض الأمثلة لهذه الظاهرة:

المثال الأول:

قال الأستاذ المفتي محمد شفيع – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.[٤٥] تحت عنوان: "المعاملة السيئة مع النبي والولي تعتبر معاملة سيئة مع الله": بيّن الله سبحانه وتعالى في الآية المذكورة – خلال بيان أحوال المنافقين – "يخادعون الله" أي أنهم يقومون بالخداع مع الله. وهذا واضح بأن الخداع مع الله – في الحقيقة– مستحيل ، بل كان من قصدهم أنهم يحاولون الخداع مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، ولكن الله جعله خداعا في حقه وقال بطريقة غير مباشرة بأن من يسيئ المعاملة مع النبي والولي فكأنما يسيئ المعاملة مع الله.[٤٦]

والمثال الثاني:

ونرى الأستاذ المفتي محمد شفيع – رحمه الله– يقول عند تفسير قوله تعالى: : ﴿فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[٤٧] هناك فرق بين "لا خوف عليهم"وبين "ولاهم يحزنون" في أسلوب الكلام، والثانية قد استخدم فيها الفعل وقدم عليه الضمير، وفي هذا إشارة إلى أنه لا يأمن أحد من الحزن والذلة عند فقدان الأمور الهامة، إلا من وصل إلى درجة الولي".[٤٨]

والمثال الثالث:

يقول المفتي محمد شفيع – رحمه الله– في كلامه حول تعظيم الأنبياء والأولياء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.[٤٩] :على المرأ أن يعتقد بأن كل شيء يتم بقدرة الله وبإرادته، ومع ذلك يجب الاعتراف بعظمة الأنبياء والأولياء، وضرورة وجودهم، وبدون هذا الاعتقاد والاعتراف يحرم المؤمن من رضوان الله كما يحرم من اتباع أحكامه".[٥٠]

المثال الرابع:

إن المفتي محمد شفيع رحمه الله – يتكلم طويلا في تفسير قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[٥١] قائلا: إن الله سبحانه وتعالى مدح أولياءه في هذه الآية، وبيّن تعريفهم وصفاتهم، وجعل لهم البشرى في حياتي الدنيا والآخرة، ولكن السؤال هنا:

١) ما معنى ﴿لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾؟

٢) ما تعريف الولي وما علامته؟

٣) ما معنى البشرى لهم في الحياة الدنيا والآخرة؟

والجواب عن الأول:

معنى عدم "الخوف والحزن" أنهم إذا دخلوا الجنة – بعد الحساب – ما خافوا وما حزنوا، وذلك لكونهم في نعم غير منقطعة. فإن قال أحد: ما هو خصوصية الولي هنا؟ لأن النعمة في الجنة تكون غير منقطعة لأهل الجنة جميعا، فالجواب: أن أهل الجنة يكونون أولياء الله بعد الدخول فيها.

والجواب عن الثاني:

إن كلمة "الأولياء" جمع الولي، ومعناه القربة، وهناك طبقات لمحبة الله، ومن تلك الطبقات طبقة خاصة تتعلق ببعض العباد الصالحين، التي تسمى بالاشتياق أو بالمودة، والذين يصلون إلى هذه الطبقة فهم الأولياء، ولهذه الطبقة أيضا مراتب عديدة، أعلاها للأنبياء، وعلى رأسهم نبينا الكريم – صلى الله عليه وسلم – وأسفل درجة منها تسمى بدرجة "الفناء" عند الصوفيين، ومعناها: إنهاء شخصية المرأ في إرادة الله ، ومن علاماتها: كثرة الذكر ومواظبة الاتباع لأمر الله، ومن يملك هاتين العلامتين فهو "الولي الحقيقي"، ومن لا يملك هاتين العلامتين فيسقط من قائمة الأولياء. والسؤال هنا : كيف يحصل المرأ على درجة الولاية؟ والذي يريد أن يبلغ إلى هذه الدرجة فله طرق ثلاثة:

أولا: صحبة الولي.

ثانيا: اتباعه تماما.

ثالثا: ذكر الله كثيرا.

والجواب عن الثالث:

معنى البشرى للولي في الآخرة: عندما يقدم الملائكة روحه أمام الله بعد موته، يبشره الله تعالى بالجنة، وكذا يجد البشرى في يوم القيامة بعد القيام من القبر، ومعنى البشرى في الدنيا: الرؤيا الصادقة.[٥٢]

٩- الاستشهاد بالأبيات من الشعر:

لقد رأينا المفسر المفتي محمد شفيع – رحمه الله – يستشهد بالأبيات من الشعر عند شرح معاني بعض الآيات، وهو في ذلك يستخدم الأبيات العربية أحيانا كما يستخدم الأبيات الأردية والفارسية كذلك، مثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾.[٥٣] وهو يبيّن أحوال عمر بن عبد العزيز بواسطة الإمام الزهري أنه كان يقرأ الأبيات الآتية:

نهارك بالغرور سهو وغفلة

وليلك نوم والردي لك لازم

فلا أنت في الإيقاظ يقظان حازم

ولأنت في النوم ناج وسالم."[٥٤]

١٠- محاولة المفتي لدفع الشبهات:

من طبيعة البشر أنه لا يستطيع أن يتجرد من الشكوك، ولا يستطيع أن يفوق الظنون، فإذا أقبل القاريء لدراسة القرآن الكريم ووجد بعض الآيات أو بعض الكلمات مخالفة لبعض آخر ظاهرا، سواء كان ذلك من قلة معرفته بعلوم القرآن أو لجهله بالظروف والملابسات التي نزلت فيها الآيات، فهو في ذلك الوقت يقع في الريب والشك، رغم أن القرآن الكريم لا ريب فيه لقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.[٥٥] فنرى المفسر المفتي محمد شفيع – رحمه الله – يحاول لإزالة هذه الشكوك ولإثبات الأمر واضحا.

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾.[٥٦] يقول: هناك آية أخرى في سورة المطففين توافق هذه الآية، وهي: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.[٥٧] ومعنى هذه الآية أن أعمالهم السيئة، واستكبارهم المتواصل أصبح سببا للختم والران على قلوبهم، ومن الممكن أن يأتي شك وسؤال في ذهن القارئ: إذ أن الله ختم على قلوبهم، وطبع عليها، وأعدم منهم صلاحية العبرة وإمكانية الاعتبار، وأجبرهم إلى الأعمال السيئة والاستكبار، فما جريمتهم؟ ولماذا يعذبهم على ما لا

يطيقون؟ وأنا أجيب عن هذا الشك والسؤال قائلا: إنهم أفسدوا الفطرة التي فطرهم الله عليها بما كسبت أيديهم من الأعمال الفاسدة، وجعلوا — بأنفسهم — من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا بعداوتهم الشديدة ضد النبوة والهداية، فأصبحوا فاقدين قوة الإيمان، ومحرومين من نعمة الإسلام، فالمسئولية إذن ترجع إلى أنفسهم، ولا ترجع إلى الله. فهو خالق لأفعال العباد ولكنه لا يكره أحدا على أفعاله، وقد ذكر لنا القرآن الكريم بأن الله تعالى ختم على قلوبهم وجعل عليها الران بسنته المتبعة الخالدة، بعد أن قاموا ضد الحق وأرادوا تركه وأخلدوا إلى الجهالة".(58)

خاتمة البحث:

إن هذه الدراسة الوجيزة دارت حول المنهج الذي اتبعه المفتي محمد شفيع — رحمه الله — في تفسيره معارف القرآن، ونحن — خلال دراستنا — وصلنا إلى النتائج الآتية:

١- إن المفتي محمد شفيع — رحمه الله — رتب المعلومات على ترتيب جميل ووضعها تحت عناوين، وهذا الأمر جعل التفسير سهلا ميسرا للفهم أمام القراء. وهنا أصبح هذا الكتاب جامعا بين كتابين من "ترجمة شيخ الهند" للشيخ محمود الحسن و"بيان القرآن" لحكيم الأمة أشرف علي التهانوي، لأن المفسر نقلهما نقلا مباشرا في تفسيره دون نقص ولا زيادة.

٢- قد بيّن المفسر في تفسيره فضائل سور القرآن قبل دخوله في التفسير، وهذه الظاهرة تتجلى فيها عظمة تلاوة القرآن الكريم، ويجعل الناس مشتاقين إليها وراغبين فيها.

٣- وقد ساق الكلام حول بيان العلاقات بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة، وهذا المنهج دائما يساعد القراء في حفظ الأفكار على صورة شاملة، ويصونه عن تجزية معاني القرآن الكريم.

٤- إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للشريعة الإسلامية، وفيه أحكام كل شيء يتعلق بحياة الناس، فنرى الأستاذ المفتي بذل قصارى جهوده لاستنباط الأحكام الفقهية، فهذا التفسير يساعد القاريء في استيعاب المسائل الفقهية.

٥- حاول الأستاذ المفتي محمد شفيع – رحمه الله – لإزالة الشكوك وللإجابة عن الأسئلة التي يمكن أن تنشأ في ذهن القاريء عند تلاوة الآية أو عند قراءة تفسيرها، وهذا الأمر قد أصبح أن يقوم مقام الأستاذ أمام طلابه، وهذا محاولة طيبة لاشك فيه.

٦- إن اللون الصوفي بارز في تفسير معارف القرآن، لأن المفتي محمد شفيع – رحمه الله – أسهب الكلام في تفصيل الأمور المتعلقة بالطريقة الصوفية، وقد سبقنا الأمثلة في البحث.

٧- ومنهج تفسيره في توثيق المعلومات ليس منهجا علميا حديثا، وهو معذور فيه لعدم توفر هذا العلم في عصره.

المراجع:

١. المفتي محمد شفيع، راجع: *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، مقدمة، ص٥٣. وقال المفسر في مقدمة التفسير: " وبعد إذ تم التغيير في اللغة الأردية مع مر الزمان أحس شيخ الهند محمود الحسن بأن ترجمة الشاه عبد القادر بعدت عن فهم الناس لتغير اللغة والاصطلاحات، فقام بترجمة مراعيا بالاصطلاحات الحديثة، وهذه الترجمة معروفة باسم "ترجمة شيخ الهند" فأنا كنت متبعا لهذه الترجمة حيث نقلتها مباشرة في معارف القرآن". *معارف القرآن*، المجلد الأول، ص٥٩

٢. انظر المرجع السابق، ص٥٩. وقال المفسر نفسه: " كنت أتمنى أن أقوم بتسهيل بيان القرآن لعامة القراء، فإني استغللت هذه الفرصة حيث نقلت هذه الترجمة في معارف القرآن تحت عنوان "خلاصة التفسير" فمن الممكن أن نسميها بالترجمة المفصلة أو بالتفسير المختصر." معارف القرآن، المجلد الأول، مقدمة، ص٦٩.

٣. من طبيعته أنه في هذه النقطة يتكلم حول الأمور التي بقيت غامضة وتحتاج إلى تفصيل زائد، ويقول المفسر نفسه: " الأمور التي رأيتها صعوبة الفهم في "خلاصة التفسير" السابقة، المقتبسة من "بيان القرآن"، والمعلومات التي وجدتها جديرة بالتفصيل وضعتها تحت عنوان: "المعارف والمسائل". تفسير معارف القرآن، المفتي محمد شفيع، المجلد الأول، المؤسسة الإسلامية بنغلادش، داكا، ص٦٧.

القرآن الكريم، سورة البقرة: ٦.

٥. المفتي محمد شفيع، *تفسير معارف القرآن*، ترجمة: مولانا محي الدين خان، المؤسسة الإسلامية بنغلادش، داكا،المجلد الأول، ص١١٩

٦. القرآن الكريم، سورة البقرة: ٢٢.

٧. *تفسير معارف القرآن*، الجلد الأول، ص١٤٣-١٤٤.

٨. المصدر السابق، ص ٦٢.

٩. ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، *أخرجه البخاري في صحيحه*، المؤسسة الإسلامية بنغلادش، داكا، ج٨، ص٣٤٨.

١٠. المفتي محمد شفيع، *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، ص١٠٢.

١١. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المؤسسة الإسلامية بنغلادش، داكا، ج٣،ص١٢٩.

١٢. القرآن الكريم، سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠

١٣. *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ص١٠٤.

١٤. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ٣.

١٥. راجع: *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ص١١٠-١١١.

١٦. المفتي محمد تقي العثماني، *والدي وشيخي*، إدارة المعارف، كراسي، السنة: ١٩٩٤م،ص٨٤.

١٧. وقد كتب إليه العالم المحقق المشهور زاهد الكوثري المصري اعترافا بمقدرته الفقهية قائلا: "وأما الاستفتاء فأنت ابن بجدة الفتوى، وقد طالت ممارستكم حتى أصبحت فقيه النفس بالمعنى الصحيح، وملاحظاتكم المرقمة في غاية الوجاهة... إلا إني لا اتقدم بتوقيع فتوى، وأرى أن هذا يكون اجتراء ازاء براعتكم الفقهية، فأدعوا الله عز وجل أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه." المصدر السابق، ص٦٠.

١٨. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ١٩١.

١٩. *تفسير معارف القرآن*، المجلد الرابع، ص٥٥٩.

٢٠. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ١٨٤.

٢١. المفتي محمد شفيع، *مسائل معارف القرآن*، تأليف: الصوفي محمد إقبال قريشي، ترجمة: المفتي محمد عبيد الله، دار الافتاء بروكاشوني، (مكتبة دار الافتاء) داكا، ١٩٩٣م، ١٤١٤هـ، ص٩٩.

٢٢. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ٢٢٩.

٢٣. *تفسير معارف القرآن*، المجلد الرابع، ص٦٧٥.

٢٤. الشيخ محي الدين أبو زكري يحيى بن الشرف النووي الدمشقي، *صحيح مسلم بشرح النووي*، ج١٠، دار الفكر، تحت رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص٧٠.

٢٥. *القرآن الكريم*، سورة المائدة: ٥.

٢٦. الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، مراجعة: الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، ج٥، دار الحديث، القاهرة، سنة: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص٤٤٩.

٢٧. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ١٠٥

٢٨. *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ص٣٢٨.

٢٩. *القرآن الكريم*، سورة الحج: ٧٢.

٣٠. راجع: *تفسير معارف القرآن*، المجلد الثاني، ص١٢٠٩.

٣١. أو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، انظر: *صحيح البخاري*، المؤسسة الإسلامية بنغلادش، ج١، كتاب الأيمان والنذور، ص١٤١، رقم الحديث: ٦١٩١. ولفظ البخاري: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب رضي الله وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت". ولفظ مسلم: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم قال عمر فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ذاكرا ولا آثرا". الصحيح لمسلم، المؤسسة الإسلامية بنغلادش، ج٥، كتاب الأيمان ، ص٦٧، رقم الحديث: ٤١٠٨.

٣٢. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ١٧٢.

٣٣. المفتي محمد شفيع، *تفسير معارف القرآن*، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، المجلد الثالث، ص٤٩١.

٣٤. *القرآن الكريم*، سورة المائدة: ٥.

٣٥. المفتي محمد شفيع، *تفسير معارف القرآن*، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، المجلد العاشر، ص٤٧.

٣٦. *القرآن الكريم*، سورة الأحزاب: ٤٠.

٣٧. *تفسير معارف القرآن*، المفتي محمد شفيع، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، المجلد التاسع عشرون، ص٢٧٧٢.

٣٨. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ٢٥٧.

٣٩. *القرآن الكريم*، سورة الأنفال: ٧١.

٤٠. *القرآن الكريم*، سورة محمد: ٦.

٤١. *القرآن الكريم*، سورة الأنفال: ٧٦.

٤٢. القرآن الكريم، سورة المائدة: ٥٥.

٤٣. القرآن الكريم، سورة البقرة: ٣٨.

٤٤. صدر الدين على بن علي محمد بن أبي العز الحنفي، *شرح الطحاوية في العقيدة السلفية*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الرياض: نوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف للدعوة والإرشاد، السنة: ١٤١٨هـ ص٣٤٥– ٣٤٦.

٤٥. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ٩.

٤٦. المفتي محمد شفيع، راجع: *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، المجلد الأول، ص١٣٣.

٤٧. *القرآن الكريم*، سور ة البقرة: ٣٨.

٤٨. محمد شفيع، *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، المجلد الثاني، ص ٢٢٦.

٤٩. *القرآن الكريم*، سورة الفاتحة: ٤.

٥٠. محمد شفيع، *تفسير معارف القرآن*، المجلد الأول، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، المجلد الأول، ص٤٢.

٥١. *القرآن الكريم*، سورة يونس: ٦٢.

٥٢. محمد شفيع، راجع: *تفسير معارف القرآن*، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، المجلد السابع عشر، ص٦٨٥– ٦٩١.

٥٣. *القرآن االكريم*، سورة الشعراء: ٢٠٥.

٥٤. محمد شفيع، *تفسير معارف القرآن*، المجلد السابع والعشرون، ترجمة: مولانا محي الدين خان، بنغالة إسلامك أكاديمي، دهلي، ص٢٣٢٧.

٥٥. *القرآن الكريم*، سورة البقرة: ٢.

٥٦. *القرآن الكريم*، سورة البقرة :٧.

٥٧. *القرآن الكريم*، سورة المطففين، ١٤.

٥٨. راجع: تفسير معارف القرآن، المجلد الأول، ص١١٩.